الدرس السادس:

الفكر الرواقي والفكر الأبيقوري

تمهيد:

تعتبر المدرسة الرواقية والمدرسة الأبيقورية من أهم المذاهب الفكرية اليونانية القديمة، والتي كان فضل عظيم في تطور الفكر الانساني وتعمقه أكثر في القضايا المرتبطة بالمنطق والعقل ونشوء الحياة والحقيقة والفضيلة والسعادة وتفسير الغيبيات، وفي هذا الدرس، سنحاول تبسيط هذين المذهبين المهمين وتقديم نظرة عامة عنهما.

I. الرواقية:

1. **تعريف الفكر الرواقي:**

الرواقية هي إحدى الحركات الفلسفية التي ظهرت في الحقبة اليونانية الهلينستية. اشتُق اسمها من الرواق الموجود في الساحات العامة في أثينا، والمزيَّن بلوحات جدارية، حيث كان أعضاء المدرسة يجتمعون وتُعقد محاضراتهم. ويرى الرواقيون أن مختلف المشاعر (مثل الخوف والحسد أو الجاذبية أو الحب لأي شيء كان) نشأت عن طريق أحكام زائفة مغلوطة، وأن الشخص الحكيم الذي يبلغ الكمال العقلي والأخلاقي هو الذي لن يخضع لمثل هذه المشاعر. يؤكد الرواقيون أن الفضيلة أمر كافٍ لتحقيق السعادة.

بما أنّ هدف الفكر الرّواقي هو تأسيس الأخلاق، فإنّ تعريفات الرّواقيين للفلسفة تبين أن للأخلاق المكان الأول، باعتبار أنّ الغاية القصوى هي أن نعيش على وفاق مع الطبيعة، ذلك أنّ الطبيعة تقودنا إلى الفضيلة. ولذلك، فإنّ موضوع الفكر الرواقي الأساسي هو الفضيلة، ذلك أنّ

المفكر "زينون الرّواقي" اعتبر ن طبيعة هي من تقودنا إلى الفضيلة، ولذلك فإنّ الفكر الرّواقي في صميمه هو مذهب أخلاقي وتقوم الرواقية على قاعدة تستند إلى الحياة الباطنية. 2

ويمكن العودة إلى أحد ممثلي المذهب الرواقي قديما وهو "سكتوس" لتحديد مفهوم الفكر الرّواقي في قوله أن بعض الرّواقيين يرون أنّ أقسام الفكر ثلاثة، وهي المنطق – الطبيعة – الأخلاق، إلا أنّ الأسبقية تُعطى للمنطق وذلك من حيث تدريس هذه الفلسفة. إذن، إنّ وجود هذه الفلسفة الرّواقية يقتضي وجود الأخلاق، فالفلسفة ممارسة للفضيلة وهي واحدة لا تتجزأ (فضيلة المنطق – فضيلة الطبيعة – وفضيلة الأخلاق)،لأنّ الأخلاق الرّواقية من جهة هي تجسيد لنشاط الفيلسوف على أساس استنباط عقلاني للسّلوك الإنساني، ومن جهة أخرى تقويم إصلاح ما فسد من هذا السلوك وهو ما يسمى بالنظام البيداغوجي في تأسيس الأخلاق الفاضلة والابتعاد عما هو غير أخلاقي. وبما أنّ الإنسان الفاضل في الفلسفة الرّواقية يستوجب منه التوافق مع الطبيعة الكونية بما يسمى المواطن الكوني. 3

2. آراء الرواقيين في الطبيعة والمنطق وما وراء الطبيعة

أ. الطبيعة

يعتبر موضوع الطبيعة من أهم مواضيع التي ركزت عليها الفلسفة الرواقية، استخدمت لتوضيح وتفسير الكون وأسباب ظواهر الكون، ودراسة الأسباب التي بموجبها توجد هذه الأشياء وتلك، وقد رفض الرواقيون المثالية الأفلاطونية لكونها غير موجودة على أرض الواقع ولا يتقبلها العقل وفاقدة المصداقية، وبما أن الفلسفة الرواقية هي فلسفة مادية فقد أكد الرواقيون أن الطبيعة المادية لم تأتي من عبث ب لها قوانينها الخاصة، فكل شيء لا يكون ماديا فهو ليس حقيقيا، ويرون أن الكون منظم ومنسجم، وأن كل ما فيه يسير لغاية معينة وغير خاضع للصدف، لذلك عُرفوا بالماديين، فنظرة الرواقيين للطبيعة تتسم بكونها نظرة مادية، بحيث تذهب نظرتهم هذه إلى اعتبار كل ما هو موجود عبارة عن جسم حتى العقل وما يصدر عنه من فعل فهو مادي في طبيعته.

كان أساس الفلسفة الطبيعية لدى الرواقيين أنه ليس هناك غير المادة في الوجود، أي أن ما لا جسم له فلا وجود له، ولذلك يرون أن جواهر الأشياء مادية بامتياز، وكل صفات الأشياء تتكون من جسميات، وتنقسم إلى قسمين المبدأ المنفعل هو المادة التي هي الجوهر، والمبدأ الفاعل هو العقل أي العقل المدبر للكون.

ب. ما وراء الطبيعة

في نظر الرواقيين فإن الله ولكي يخلق العالم، حوّل جزءا من البخار الناري الذي تتكون منه ذاته إلى هواء ثم إلى ماء يكون الله حالا فيه كقوة تكوينية مصورة، ثم يدفع بجزء من الماء ليتحول إلى أرضٍ وجزء أخر يبقى كما هو على حالته المائية، ويتحول جزء من الماء إلى هواء ثم يتخلخل هدا الهواء فيصبح نارا، وبدلك يكتمل خلق الله للوجود، وعندما ينقضي هذا الدور الذي يمر به العالم سيتحول العالم بفعل الاحتراق إلى كتلة ضخمة من البخار الناري، وتعود هده الكتلة فتضاف إلى ذات الإله زيوس لكي يعود فيصدرها في دور جديد بادئا الخلق في صورة ثانية، وهكذا تتعدد أدوار الخلق.

وكتبسيط لما سبق، فإن أهل الرواق نظروا إلى الخلق أن أساسه النار، والله أو زيوس مخلوق من نار، والنار الإلهية انبعثت منها نفس الإنسان الأول ثم تنتقل من الأصل إلى الفروع وهكذا على طريقة التوالد، ولن يبقى العالم هكذا بل يحوله الله إلى نار عظيمة تحول كل شيء كما كان أول مرة، وعلى هذا المنوال يبقى تاريخ العالم في سلسلة متعاقبة، وهدا كان تصور الخلق عند الرواقيون ، وإله الرواقية كان يختلف كل الاختلاف عن المعتقدات والنظريات السابقة لها، حسب تصورهم فإن الإله مادي لا صورة له، أي عقل يحيا في المجتمع له علم بكل تصرفات البشر ويسيرها، وهو مصدر النظام والتدبير ومن هنا جاءت فكرة العناية الإلهية أن كل شيء خلق بحكمة، وكل حادث يحصل للإنسان فهو لغاية معينة.

ج. المنطق

أسس الرواقيون المنطق من خلال نظرية المعرفة، القائمة على فكرة أن العلم يقوم على الحس، فكل معرفة مصدرها الحواس، وزعموا أن الطفل يولد صفحة بيضاء خالي الدهن من كل شيء، ثم تتوالد الأفكار مع تجاربه الحسية في الحياة ويبقى أثرها في شكل تصورات، ثم يحكم العقل على هذه التصورات ليدركها، وأن الإدراك الراسخ ينتج العلم، ومن هده النظرية استنتج الرواقيون أن المعرفة تنشأ من الأجزاء، والأجزاء هي الحقائق الأساسية التي تنشأ منها المعرفة، أي أصل المعرفة هو العالم الخارجي أي عالم الحس. 4

II الفكر الأبيقوري

1, نشأة المدرسة الأبيقورية:

كان أبيقور هو مؤسس المذهب الأبيقويري والذي جاء اسم هذا المذهب نسبة له، كانت مؤلفاته الرئيسية بعنوان "عن الطبيعة"، إذ اعتقد أبيقور أن الآلهة لا تشارك في تطوير العالم، ولا تتدخل في مصائر الناس، وأن الرجل الحكيم وحده هو القادر على الاستمتاع بالحياة ومذاتها، واللذة الأسمى لا تتوفر إلا له. وهذه اللذة الأسمى هي "الصفاء"، و يتم الحصول عليها أثناء عملية معرفة الحقيقة. وصفاء الروح يعطي الإنسان استقلالا داخليا. 5

في الحقبة الهلينية، وفي وقت سادت فيه المصائب والفوضى والقلق، وعندما كانت المدن اليونانية تتخبط في الحروب، وعندما كانت المدينة القديمة تحتضر وقد حلت محلها الدول الكبرى المركزية حيث يشعر الفرد أنه ضائع، في هذه الأجواء وُلدت الأبيقورية في خصوصيتها كتفكّر للفرد الذي يبحث عن قاعدته السلوكية في ذاته، والذي يسعى لتبديد القلق. إذ تُوجت فكرة فلسفة أبيقور في كونها تدل على محاولة إعطاء الإنسان القدر على التحكم الكامل بنفسه، وأن ثمة علاقة وثيقة بين الأخلاق وتحقيق الأمان الروحي والطمأنينة، كما بين الأخلاق و التحكم بالذات الذي يساعد الإنسان على التخلص من الرعب الذي مصدره الآلهة، والموت، والزمن. 6

2, الأبيقورية المنطق

كان أبيقور يشبه السقراطيين في نفورهم من كل علم لا يتصل بالأخلاق ولا يعود بفائدة من هذه الجهة، فكانت الأخلاق عنده محور الفلسفة وغايتها، يخدمها المنطق والعلم الطبيعي، وكان تعريفه الفلسفة أنها الحكمة التي توفر السعادة بالأدلة والأفكار، وهي بهذا المعنى ميسورة لكل إنسان.7

3. التشابه بين الأبيقورية والرواقية

تتشابه الرواقية والأبيقورية في أن فكرة الأخلاق هي فكرة ابيقورية وأيضا رواقية، وهي تمثل فن ممارسة الحياة بطريقة صحيحة، وإيجاد السلام الداخلي في كل الظروف، سلام النفس ولامبالاة الفكر، وذلك عن طريق إبعاد كل شيء بإمكانه أن يقلق المرء. كما يجب التذكير بأن الأخلاق الرواقية، كما المذهب الأبيقوري، تعطي لفكرة الطبيعة دورا محوريا. المقصود أساسا هو التزامن والتناسب مع مسار العالم. 8

المراجع المستعملة حسب ترتيب ظهورها:

1. الرواقية، موسوعة ستانفورد للفلسفة، دار حكمة للنشر، الرياض، 2019، ص 1
2. محمد وادفل: أثر الأخلاق الرواقية في الفكر الأخلاقي القديم، مجلة منتدى الأستاذ، المجلد الرابع، العدد&ن 2008، ص 195
3. محمد وادفل، مرجع سبق ذكره، ص 197
4. غيلاني نجاة: فكرة الضرورة في الفلسفة الرواقية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفسلفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، الجزائر، 2023، ص 15
5. دينيس أليكسانردوفيتش تشيكالوف وفلاديمير كوندراشوف: تاريخ الثقافة العالمية، مشروع كلمة للترجمة، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2014، ص 141
6. جاكين روس، مغامرة الفكر الأوروبي، قصة الأفكار الغربية، مشروع كلمة للترجمة، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2011، ص 54
7. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دار هنداوي للنشر، القاهرة، 2014، ص 258
8. جاكلين روس، مردع سبق ذكره، ص 54